الفصل العشرون

مؤامرة الجزائر

قال صدام لإدريس في يوم ٨ آذار ١٩٧٥:

"لو أضطررنا الى التنازل لإيران عن شط العرب كي لايخرج العراق من يدنا فلن نتردد."

الظاهر الجلي من هذا أنّ النظام كان قد تهيّأ منذ ذلك الحين الى عقد مثل هذه الصفقة. وأتساءل ألم يكن من الأفضل للنظام أن يتنازل لأبناء شعبه بدلاً من التنازل للأجنبي ويوفر على نفسه والشعب العراقي كل هذه المصائب.

لاشك في أنّ تنازلاً كهذا كان يراود الشاه في أطيب أحلامه، ولاشك في انه كان مستعداً لدفع أي ثمن للفوز بهذا المطلب وفض نزاع طال امده أكثر من ثلاثة عقود من الزمن وأدى الى كثير من التوتر في العلاقات بين الانظمة العراقية المتعاقبة وحكومات إيران. فقد بقيت الحكومات العراقية السابقة كلها مصرة على موقفها من هذا النزاع الدولي وأبَتْ أنْ تتنازل عما تراه حقاً تاريخياً للعراق حتى أنّ نوري السعيد أيام كان هناك إجتماع لحلف المعاهدة المركزية في طهران. إمتنع عن المشاركة وألغى سفره لعلمه بأن البحث في موضوع هذا النزاع سيكون في جدول الأعمال.

من جهة أخرى فإنّ البارزاني لم يكن في أي وقت يأمن جانب الشاه وكان يتوقع في كل لحظة خيانته لذا لم يكن يعطيه فرصة ليسدد اليه طعنة من الخلف. وحرص دائماً أنْ

تبقى مسافة بينه وبين الشاه حذراً وتوجساً. إلاّ أنّ البارزاني كان في العام ١٩٧٢ قد تلقى وعداً ثابتاً من الولايات المتحدة بأنْ يبقى الشاه مسانداً للقضية والثورة مهما حصل من تبدلٍ في الأوضاع وركن البارزاني الى هذا التعهد. لكن ظهر بأن هذا الوعد الذي قطعه وزير الخارجية الأمريكي كيسنگر عن الإدارة الأمريكية لم يكن حقيقياً. وبدا تصرفه الأخير ازاء الثورة في غاية من الإنحطاط والدناءة.

في صيف العام ١٩٧٤ عندما إحتدمت المعارك في كردستان وردت أجهزة إستخباراتنا معلوماتٌ تفيد بأنّ هناك مفاوضات سرية قائمة بين النظام العراقي وبين إيران وان إتفاقاً وشيكاً سيعقد بين الطرفين. ومن دلائل ذلك إجتماعٌ تم بين وزيري خارجية الطرفين الدكتور سعدون حمادي وعباس علي خلعتبري في استنبول وان المحادثات بقيت متواصلة بعد هذا الإجتماع وذكر أنّ لإسرائيل دوراً فيها. فقد اكدت الدوائر الإسرائيلية في حينه أنّ الشاه لن يخون الثورة الكردية.

على أنّ الثورة قامت بعدة محاولات للتعرف على هدف هذا التقارب بين العراق وإيران. فبعثنا رسالةً الى الولايات المتحدة تتضمن المعلومات التي حصلنا عليها من هذه الجهة وطالبنا بالوفاء بالعهد الذي قطعوه لنا بأن لايخذلوا ثورتنا.

فنفت الإدارة نفياً قاطعاً بأن يكون هناك أي تقارب أو طبخة سياسية من شأنها أنْ تلحق ضرراً بالنضال الكردي. وذكرت الاجابة بأنهم قاموا بدورهم بإرسال معلوماتنا الى الشاه فعمد الشاه بدوره الى إرسال رسالة تطمئن البارزاني قال فيها انه لن يتخلى عن الثورة ولن يقف بمساعداته عند حدّ وانه عند كلمته. وبعث البارزاني بهذه المعلومات ايضاً لكل من الملك حسين والرئيس انور السادات صحبة مندوبٍ خاص.

وفي شباط ١٩٧٥ قصد محمد محمود عبدالرحمن (سامي) القاهرة يحمل رسالة من البارزاني للسادات. جاء فيها: اننا نود أنْ تقوموا انتم العرب بالتدخل لحل المشكلة بيننا وبين العراق. ولا أحد غيركم. ووعد السادات بأنْ يبذل ما في وسعه في هذا الشأن.

في الواقع ان الجميع كان شريكاً في هذه العملية فهؤلاء وغيرهم إتفقوا على أنّ الحل الوحيد هو الإعداد للقاء شخصي بين صدام حسين وبين الشاه بمناسبة عقد مؤتمر الأوپك في الجزائر حيث تكون المساومة على حقوق الشعب الكردي. ولأجل إدخال الطمأنينة

في النفوس وربما للتغطية على النوايا المبيَّتة. وبعد أنْ أعلمت الولايات المتحدة الشاه بما لدينا من معلومات حول المفاوضات قام بزيادة مساعداته فعزز بطارياته بالمدفعية الثقيلة وزاد من عدد صواريخ راپيير بكتيبتين بدل كتيبة واحدة. كما انه فتح الحدود الإيرانية بوجه النساء والأطفال حماية لهم من القصف الجوي. وأنشأ معسكرات كثيرة لإيوائهم وإيواء عوائل الپيشمرگه. (ربما كان هذا عملاً مقصوداً يرمي الى القضاء على كل عقبة في سبيل الإتفاق مع صدام. أعني أنه أسلوب ضغط آخر.)

وبعث البارزاني برسالة الى وزير الخارجية الأمريكية طالباً منه أنْ يسهل له السبيل للسفر الى أمريكا ليبحث الأمر مع المسؤولين هناك. إلاّ أنّ كيسنگر بيَّن له صعوبة ذلك وقال انه مستعد لإستقبال مندوب عنه. وقرر البارزاني إرسال الدكتور محمود وإدريس إلاّ أنّ التوقيع على إتفاق الجزائر وضع للمحاولة حداً[1].

بناءً على دعوة الشاه توجّه البارزاني الى طهران في السادس والعشرين من شباط ١٩٧٥ يرافقه كل من الدكتور محمود ومحسن دزَيي.

وتبيَّن بكل وضوح أنّ الشاه كان قد نقم على البارزاني بسبب إتفاقيته مع البعث في آذار ١٩٧٠ فوجد فرصته للتشفي بإختيار وجود البارزاني في طهران مناسبة للإعلان عن إتفاق الجزائر وتم نشره في يوم ٦ آذار ١٩٧٥ بمجرد وصول الشاه[2] طهران. ثم

١- نص الرسالة:

١٩٧٥/٢/٢٢

عزيزي الجنرال

سررت كثيراً بتسلّم رسالتكم المؤرخة في ١٩٧٥/١/٢٢ وأود التعبير عن تقديرنا لكم ولشعبكم ولبطولاتكم. إن المشاكل التي تواجهكم عظيمة حقاً. وأعبر عن تقديري لتحليلاتكم العسكرية والسياسية التي جاءت في رسالتكم. أود أن تكونوا على يقين بأن رسالتكم كانت موضع إهتمام كبير على أعلى مستويات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية نظراً للإهتمام الكبير الذي يلقاه هذا الموضوع عندنا.

إن رغبتم في إرسال شخص موثوق الى واشنطن لتزويد حكومة الولايات المتحدة بالمزيد من المعلومات حول الوضع، فسيسرنا ويشرفنا أن نستقبله هنا. وأنا واثق من أن الكتمان والسرية في الموضوع عامل على جانب كبير من الأهمية في إنجاز ما أنجزناه لحد الآن. إن هذه السرية الى جانب حرصنا على سلامتكم الشخصية هي السبب الذي جعلني أتردد في إقتراح لقاء شخصي معكم هنا. سأكون في إنتظار جواب منكم.

هذا وتقبلوا أخلص تمنياتي وإحتراماتي

هنري كيسنگر HK

- نسخة مصورة من رسالة كيسنگر في الملحق رقم (٥٠) قسم الملاحق.

٢- راجع النص في الملحق رقم (٥١) قسم الملاحق.

أصدر أمراً لرئيس الأركان الفريق ازهاري بسحب بطاريات المدافع ومنظومات الصواريخ من كردستان وبوشر بذلك في اليوم التالي من دون إعلامنا فبعثنا ببرقية إستفسار الى ممثلنا شفيق قزاز. فأجاب مفصّلاً أنباء الخيانة الكبرى وطلبنا من البارزاني التعليمات. فأجاب أنّ محسن دزَيي سيعود اليكم بكل التفاصيل.

وكنتُ أقضي إجازة يومين في نغده فكتب إليّ أخي إدريس رسالتَيْن فيهما ينبئني بقيام السلطة الإيرانية بسحب مدافعها ويوضح لي الصورة حول سير القتال في الجبهات. فعدتُ فور تسلّمي الرسالتين[٣].

ووصل (محسن) في التاسع منه وشرح لنا أبعاد المؤامرة وأوصى بالحذر والإستعداد للمقاومة والدفاع فمن المحتمل أنْ لايَدَعوا البارزاني يعود الى بارزان وعلينا أن نتوقع كل شيء من مثل هذا الرجل (يقصد الشاه).

وفي ١١ منه استقبل الشاهُ البارزاني: وقال له "إني أضطررت الى عقد هذا الإتفاق ولو لم أفعل لتورطت في قتال واسع النطاق مع البعثيين العراقيين فيه سيرمي السوفييت بكل ثقلهم ثم أنّ الإتفاق من الناحية الأخرى في مصلحة الشعب الإيراني تماماً كما وجدتم من مصلحتكم أنْ تعقدوا إتفاق الحادي عشر من آذار ١٩٧٠، ان لديكم مهلة حتى نهاية شهر آذار حيث ستكون الحدود مفتوحة أمام كل من يريد اللجوء الى إيران. والحرية مضمونة لكل من يريد أنْ يبقى وبعد تمام المهلة سنغلق الحدود."

قال (أسدالله علم) وزير البلاط في مذكراته: "كان الشاه عظيم القلق قبل رؤية البارزاني" وأظنه قد اختار متعمداً موعداً للقاء في يوم ٣/١١ على سبيل الإنتقام بسبب توقيع بيان آذار ضد رغبة الشاه في اليوم نفسه قبل خمس سنوات.

في ١٢ منه عاد البارزاني ومن في معيَّته. وكان قرار القيادة الإستمرار في المقاومة وأرسلت برقية للولايات المتحدة تناشد الإدارة بالتدخل والضغط على إيران بعدم التعاون العسكري مع العراق.

كان قد سبق لإسرائيل أن وعدت بأن مساعداتها ستتواصل حتى لو أغلق الشاه حدوده بوجه الثورة وانها ستقدم على ذلك عن طريق انزال ما يحتاجه الجيش الثوري

٣- راجع نص الرسالتيْن وصورتيهما في الملحق (٥٢) قسم الملاحق.

جواً وكان قد تعين موضعان لذلك. أحدهما (سهل قَسري) والأخر (سهل هيرت).

أجابت الإدارة الأمريكية انها لاتستطيع عمل شيء. وبعد هذا قطعت الولايات المتحدة إتصالها بنا تماماً. وردّت إسرائيل ايضاً بأنّها لاتستطيع الوفاء بتعهداتها وان هناك صعوبات فنية وستراتيجية تحول دون ذلك.

وعلّق البارزاني بقوله:

«أخشى من إجتماع كل معدومي الضمير هؤلاء علينا أنْ نبقى وحدنا في الميدان وأن يؤدي ذلك الى التطويح بقضيتنا وتصفية شعبنا. وأنا شخصياً وقد بلغت من العمر عتياً لم تعد سني تساعدني على حرب الأنصار التي تقتضي سرعة الإنتقال من جبل الى جبل ليل نهار. لذلك رأيتُ أنّ مواصلة القتال ليس من مصلحتنا. ولاضير في أنْ يتأخر كفاحنا فترة من الزمن ولابدّ من أنْ تعن فرصة أخرى للشعب الكردي لإستئناف نضاله. وان كان هناك من يقوى على تسلم قيادة حرب الأنصار الآن فأنا على إستعداد لبذل كل مساعدة له.»

بوسعي أنْ أؤكد بأن البارزاني كان سيواصل قيادة الثورة عمليا لولا تقدمه في السن وبسبب الداء الذي استفحل فيه وكان سبب موته بعد سنوات قلائل كما هو معروف. لايعرف حتى الآن متى أبتلي الوالد بهذا الداء. ففي صيف العام ١٩٧٤ شعر بآلام شديدة في ركبته فشخص الى طهران وعرض نفسه على أطبائها. وكان المشرف على علاجه طبيب أمريكي وعدد من الاطباء الإيرانيين والدكتور محمود عثمان معه. والشك يحوم حول قيام هؤلاء الأطباء في أثناء ذلك بزرق أبر سرّبت هذا الداء اليه. لم تظهر عليه اعراض المرض إلاّ في العام ١٩٧٥ وانا شخصياً كان بودي أنْ نبقى في حاجي عمران نقاتل الى آخر رجل والى آخر إطلاقة حتى يُقضى علينا جميعاً، موثراً ذلك على الذهاب الى إيران. كان من رأيي المقاومة والدفاع. وربما دفعتني العاطفة وإندفاع الشباب وحماسته الى إتخاذ هذا القرار. لكن لم يكن باليد حيلة أمام القرار الذي اتخذه الوالد. وقد تبين فيما بعد كم كان ينطوي قراره على اصالة وحكمة. طوح بسمعته ووضع نفسه موضع نقدٍ جارح بإتخاذه هذا القرار الجريء. مفضلاً عدم المجازفة بمغامرة خطيرة لاتعلم نتائجها، وسأعمد الى المزيد من الحديث في هذا في الفصل التالي.

بعد نجاح الثورة الاسلامية والقضاء على نظام الشاه اقبل السيد هاني الحسن مندوب الثورة الفلسطينية الى طهران، وللتاريخ لايسعني إلاّ الاشادة بالمساعدة التي لقيناها منه. قال لي هاني الحسن: "لم يكن بعلمي حتى الآن مبلغ خطورة إتفاق الجزائر إلاّ أنّي أصبحت الآن أدرك مبلغ ما في قرار البارزاني من حكمة وبعد نظر عندما قرر الإنسحاب الى إيران ولولا هذا لتعرض الشعب الكردي بأسره الى عملية إبادة.

واستطرد يقول:

"إطلعتُ على الوثائق السرية الخاصة بهذا في وزارة الخارجية الإيرانية فتأكدت بأنّ هذه المؤامرة التي نسجت ضدكم كانت بالغة الخطورة على مستقبل شعبكم".

في الواقع كانت نكسة ١٩٧٥ كبيرة بحيث دفعت بآمال الشعب الكردي الى زوايا النسيان فترة من الزمن لكن إرادة المقاومة والنضال بقيت حية في النفوس ولم تقوَ الكارثة على إماتتها. أسرعنا فوراً بإعادة التنظيم ورصّ الصفوف حول الثورة والحزب الديمقراطي الكردستاني فألّفنا ما دعوناه (بالقيادة المؤقتة) واستأنفنا القتال على اسلوب حرب العصابات حيث أنّ قسماً كبيراً من البيشمرگه كان متواجداً في كردستان ولم يستسلم للنظام وإتفقنا معهم على إدامة الثورة فتم تنظيمهم كالسابق فصائل وفرقاً.

المعركة الأخيرة في تاريخ الثورة العسكري، جرت في يوم ١٣ آذار ١٩٧٥ عندما حاول لواءٌ التقدم الى دولي (وادي) آكويان شرق رواندز، فمُني بهزيمة نكراء وإرتدّ على أعقابه وأستشهد في القتال صالح آكويي أحد قادة تلك الجبهة وهو آخر شهيد تقدمه ثورة أيلول في سبيل تحرير كردستان.

وسنتحدث عن نشاط البيشمرگه في كردستان خلال فترة القيادة المؤقتة عندما نتطرق الى ما دعوناه بثورة (گولان) لكن علينا هنا في رأيي أنْ نتأمل بمصير أولئك الذين تآمروا على قتل ثورة الشعب الكردي، وكانوا سبباً لإتفاق الجزائر كلٌّ منهم نال عقابه الإلهي العادل بشكلٍ ما أو بغيره.

في أعقاب إتفاقية الجزائر
الأنباء الأولى

بعد ذيوع أنباء الإتفاقية وتوقيعها في الجزائر وعودة الشاه من عاصمتها الى طهران وبقدر ما تيسّر من التفاصيل القليلة عنها، تبيّن لنا أنّ القصد الأساس منها كان تصفية الثورة الكُردية. وإنّها ليست من قبيل الإتفاقات الشكلية بل هي إتفاقية جدّية وُضعتْ لتُطبَّق وإنّها تحظى بتأييد الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي. فكلاهما كان يرى في ثورتنا بؤرة واحدة من بؤرات الإحتكاك بين هاتين الدولتَيْن العُظميَيْن قد تقلب الحرب الباردة بينهما الى حربٍ ساخنة.

والبارزاني كان إذ ذاك في طهران يرقُبُ عودة الشاه وبصحبته كلٌّ من محسن دزَيي والدكتور محمود عثمان.

بعد أنْ كشف الشاه عن أوراقه. رأى البارزاني أنْ يبعث محسن دزَيي إلينا لإطلاعنا على التفاصيل والتطورات المستجدة التي طرأت ولينقل إليه بدوره الآراء والمواقف والتدابير التي يقترحها أعضاء القيادة في كردستان. وحمل لنا محسن رسالة من الدكتور محمود وفيها لخّص خطورة الوضع الجديد[٤].

وعلى اثر وصوله في التاسع من آذار ١٩٧٥. جرى إجتماع لأعضاء القيادة المتواجدين في المركز (حاجي عمران) وكنتُ بين الحاضرين وتُليتْ رسالة (محمود عثمان) كما سمعنا تعليق (محسن دزَيي) حول الوضع.

كانت الصدمة بدرجة من الشدة أنْ خيّم على الإجتماع جوٌّ كئيب ثقيل لم يحاول أحدٌ منّا إزالته أو الإتيان بأيّ محاولة للتظاهر بالتجلّد، وقد بدا ذلك واضحاً على الوجوه. ولم يكنْ بيننا مَنْ إستطاع الإحتفاظ بهدوءٍ وصفاء ذهن. يتضح من سير المناقشات والتقويم والإدلاء بالمقترحات. لم يكن هناك في بداية الأمر إجماعٌ أو شبه إجماعٍ على قرارٍ أو الإتفاق على خطة عمل وكان بعضُهُم منهاراً تماماً، وآخر عاجزاً عن الإدلاء برأيٍ معقول. وآخر مشتت الذهن وبعضُهم كان يُزايد. مع هذا طُرحتْ آراء لاتخلو من عقلانية.

٤- تراجع الترجمة والأصل في الملحق رقم (٥٣) قسم الملاحق.

ومن تلك الآراء غير العملية التي لم يكنْ لها حظّ من التطبيق الفعليّ ذلك الذي إقترح الإنتقال بكامل قواتنا الى إيران وقتال جيش الشاه حتى النفَس الأخير والى آخر رجل. وعليَّ الإقرار أنّ هذه الفكرة إستهوتني ساعتها وأنا في سورة من الغضب والإنفعال الشديدَيْن. راقت لي رغم معرفتي بمدى خطورتها وتعذُّر تنفيذها إلاّ أنّي والحقُّ يُقال كنتُ أُفضِّلها على غيرها من المقترحات المطروحة.

القرارات الأولى

ثُمّ وبعد نقاشٍ طويل. إستقرّ الرأي على جملة أفكارٍ وضعناها في نقاطٍ وسلّمناها لمحسن دزَيي ليعود بها الى الوالد في طهران. وهي هنا مثلما دُوّنتْ وأُرسلتْ:

١- الطلب من السلطة الإيرانية التوسّط لوقف إطلاق النار بيننا وبين الحكومة العراقية، لتصفية الأمور بشكلٍ معقول.

٢- السؤال من السلطات الإيرانية عن إمكان قبولها بإنسحابٍ عام لسائر قواتنا الى إيران.

٣- بُحثت إمكانية الإستمرار في المقاومة، فتبيّن أنّها صعبة. على أنّ كثيراً من الاخوان يفضل العودة الى حرب العصابات بعد دراسة جميع جوانبها وردود فعلها على المقيمين في إيران. ويسود الإعتقاد أنّ العديد من البيشمرگه يفضل مواصلة القتال مهما كانت النتائج.

٤- تمهيداً لهذا، سيُطلب من أمراء الهيزات تهيئة عدد يتراوح بين ثلاثمائة وخمسمائة مقاتل كلٌّ من هيزه. على أنْ يكونوا من الشبان ذوي اللياقة والقابلية مع تأمين مايلزمهم من العتاد. ثمّ تثبيت مواقع ستراتيجية لهم كلٌّ ضمن منطقة هيزه، إستعداداً للقيام بحرب العصابات وإنتظاراً للتعليمات.

٥- جرى الإيعاز لهيز دَشتي هَولير بالإنسحاب الى مناطق بيتواته وبالَك. والى هيز حمرين بالإنسحاب الى بارزان. والى بتاليون شوان وقَلاسيوكه بالإنسحاب الى سَرگلو وشارباژير. وهيز كركوك الى مناطق بياره ومنطقة هيزي خَبات وزمناكو.

٦- المباشرة بسحب قوات أسعد خوشوي بالتدريج.

٧- الطلب من السلطات الإيرانية إبقاء الحدود مفتوحة بتمديد المدة المقررة لغلقها، لحين

تصفية الأمور ولإكمال سحب القوات البعيدة إنسحاباً منظماً.

٨- سنكتب الى أمراء الهيزات عن حقيقة الأوضاع. ونطلب منهم تبليغ الأهالي بالبقاء حيثُ هم، وترك الخيار للپيشمرگه بين البقاء وبين العودة والتسليم للحكومة العراقية على مسؤوليتهم.

٩- تُسأل السلطات الإيرانية عمّا اذا كان هناك مانع من الإتصال بالسلطات العراقية عن طريق الشيخ محمد خالد أو أيّ جهة أخرى.

١٠- الطلب من السلطة الإيرانية إبداء فكرة عامة عن أماكن إستيعابنا وتجميعنا. وعن النقاط المعيّنة لدخول الحدود. وكيفية تسليم الأسلحة والمهمات وأماكن تكديسها.

١١- هناك فكرة حول قيامنا بتسليم أسرانا الى الحكومة العراقية مع إطلاق سراح السجناء العاديين في آخر مرحلة من جلائنا.

١٢- ماهو شكل المعونة لأولئك الذين سيعبرون الحدود، بصورة عامة؟

هذه النقاط سُلّمت لمحسن دزَيي فذهب بها الى طهران.

ردّ البارزاني

في العاشر من آذار تلقّينا من البارزاني ردّه برقياً، وكان جهاز اللاسلكي التابع لمكتبنا في طهران شغّالاً. ثمّ إنقطع تماماً بعد وصول ردود الوالد. وهذه هي فقرةً بفقرة.

وصلنا محسن وإليكم أجوبتنا:

* إتصلنا وسنواصل الإتصال لهذه الغاية وسنعلمكم بالنتيجة.

* لامانع لديهم من ذلك. إلاّ أننا لانعتقد بصوابه. فالمصلحة توجب إبقاء قواتٍ كافية لعمليات الپارتيزان (الأنصار).

* نؤيد إستمرار المقاومة المنظمة بأقصى ما يمكن. وعند تعذّر ذلك فيجب اللجوء الى حرب العصابات. لأنّ عدم الإبقاء على أيّ نشاط يعني التصفية لقضية شعبنا.

* نوافق على إنتقاء خاص للپيشمرگه ويُحبّذ أنْ يكونوا من الفدائيين

المستعدين للتضحية وتحمّل المشاقّ بلا حدود. ويُفضّل أنْ يكونوا عُزّاباً أو ممّن ليست لديه أسرةٌ في إيران. أرى أنّ المباشرة في حرب العصابات ولو لفترة قصيرة قد يمكن أنْ يغيّر وجهات نظر جهات معيّنة حول مدى عزمنا وتصميمنا. ولهذا بالتأكيد فائدةٌ في وضعنا الحاليّ.

* بخصوص حركة هذه الهيزات وإتخاذها مواقع جديدة. نؤيّد مقترحاتكم.

* نرى أنْ تتريّثوا في سحب قوات أسعد خوشوي. ولاداعي للإستعجال بالنسبة الى هيزات خَبات وزمناكو وكاوه وغيرها. وحيثما كانت المقاومة ممكنة فعليها أنْ تصمد وتبقى في مواضعها وتواصل الدفاع. أرى أن تُمنح صلاحيات كاملة لأمراء الهيزات، بخصوص إدارة القتال الجبهوي أو القيام بعمليات پارتيزانية كلّما سنحت لها الفرصة.

* سنُحاول تمديد الفترة المعيّنة لغلق الحدود قدر الإمكان.

* نوافق على إعلام أمراء الهيزات بحقيقة الوضع. لامانع هناك من إخبارهم بالواقع في الساعات الأخيرة. والمقاومة في (بالَك) يجب أنْ تتواصل وبأقصى ما يمكن.

* لامانع لدينا من الإتصال بالسلطات العراقية. أقدموا على ذلك بسرعة فقد يكون في ذلك نفع. حاولوا الإتصال عن طريق إحسان (المقصود إحسان شيرزاد) أو أيّ شخصٍ آخر مؤهّل للقيام بالمهمة وبأيّ شكلٍ تجدونه مناسباً وليكن ذلك بصورة سرية.

* بخصوص إستيعاب اللاجئين وتسليم الأسلحة. سنسعى الى معرفة ذلك وسنخبركم بنتيجة مساعينا.

* نوافق على إطلاق سراح الأسرى والسجناء ويجب أن يستفيد من العفو أكبر عدد ممكن.

* بخصوص المساعدات التي ستبذل للاجئين الى إيران. سنطلب منهم تأمين ذلك بكلّ شكل من الأشكال.

يتبيّن من أجوبة البارزاني أنّه كان في حينه ميّالاً الى مواصلة القتال وبكلّ الظروف

المتاحة وكما بسطناها له. ونحن من جانبنا حاولنا وضع ما توصّلنا إليه من مقررات موضع التطبيق وإتخذنا الخطوات اللازمة لإحتواء الوضع قدر الإمكان. فقد تفشّت حالة من اليأس في النفوس وخيّم جوٌّ من الكآبة والتبلّد بعد شيوع أنباء الإتفاقية. ونحن من جهتنا كان قلقنا الأعظم منصبّاً على سلامة البارزاني وإحتلّ تفكيرنا جميعاً قضية عودته. فماكُنّا نستبعد قطُّ من الشاه وأجهزته أن تحول دون عودته. وإحتجازه في إيران أهونُ ما كُنّا نخشاه، وأعظمُه هو الإعتداء على حياته. كنّا نقوم بتنفيذ القرارات التي توصّلنا إليها بأعصابٍ متوتّرة. وشُغلُنا الشاغل هو قصر المدة الممنوحة في الإتفاقية وإنسداد المسالك والطرق الجبلية بالثلوج التي سقطت بغزارة حتى بدا وكأنّ الطبيعة هي ايضاً تعاندنا وتقفُ في صفّ أعدائنا.

حاولنا بطرقٍ شتى معرفة مصير البارزاني، بعد أنْ عمدت السلطة الإيرانية الى قطع إتصالنا اللاسلكيّ بمكتبنا. فبعثنا برقياتٍ. لكنْ لم يكُن ثَمَّ مَنْ يردّ عليها لا من الولايات المتحدة ولا من إيران.

عودة البارزاني

أخيراً، وفي الثاني عشر من آذار ١٩٧٥ أعلَمَنا ضابطُ الإرتباط الإيرانيّ الذي كان قد ترك كردستان وإتخذ (پيرانشهر) مقراً جديداً له بعد السادس من آذار - أنّ البارزاني هو في طريقه الى حاجي عمران وأنّه سيصلها في اليوم عينه، فطابت أنفسنا وزال قلقنا، وحصل إنفراجٌ في أنحاء كردستان.

سألناه بعد العودة عمّا اذا كنّا سنواصل عملنا في تنفيذ المقررات المتخذة بعد أنْ إقترنت بموافقته فقال "نعم".

بعد أيام وجيزة إتضحت لنا تفاصيل جديدة عن الإتفاق تبيّن منها جسامة المؤامرة على ثورتنا والتصميم الفعليّ على تصفيتها. ومن ذلك موافقة الشاه على دخول قطعات الجيش العراقي الأراضيَ الإيرانية من الشمال والقيام بالتعاون مع الجيش الإيراني بحركات إحاطة من الخلف والشروع بعمليات عسكرية واسعة النطاق ضد قوات الثورة المطوّقة في حالة مواصلتنا القتال وعدم الإستسلام.

موقف الدول ذات العلاقة

كذلك إتّضح لنا سرّ تهرّب الجهات الأمريكية من الردّ على تساؤلاتنا. وتنكّر إسرائيل لوعودها. ولم يحاول الإتحاد السوفييتي إخفاء موقفه مما حدث فقد بدا أشبه بالشامت المتشفّي. ولسانُ حاله: تلك هي نتيجة مَنْ يتعاون مع الغرب ويثق بوعودهم. وقد سمعناها فعلاً. لم يصدر من الإتحاد السوفييتي بيانٌ ينمُّ عن تعاطفٍ أو إستنكار أو تنديد بطبخة الجزائر بل وقف موقفاً بارداً منها. وكان في حينه على أوثق الصلات بنظام هواري بو مدين وبالنظام العراقي الذي إرتبط معه بمعاهدة الصداقة والتعاون منذ ١٩٧٢.

إنّ إتفاقية الجزائر كانت طبخة شاركت فيها أطراف عديدة. فقد حصل الشاه على شط العرب، وحصلت أمريكا على وعدٍ من النظام العراقي بالخروج من دائرة النفوذ السوفييتي والدخول الى دائرة النفوذ الأمريكي.

لقد أضاع حزب البعث الحاكم في العراق فرصتيْن ثمينتيْن، الأولى: لم ينفذ إتفاقية آذار بجدّ وإخلاص، والثانية: بعد نكسة ١٩٧٥ عامَلَ الشعب الكردي معاملةً قاسية غير إنسانية بدلاً من كسبه.

التحوّل عن القرار الأوّل

في هذا العام ١٩٧٥ كان البارزاني قد بلغ الثانية والسبعين، وهي سنّ الشيخوخة. ولم تكنْ صحته على مايُرام وهو يتلقى العلاج منذ زمن. وتاريخ الثورات لايذكر شبيهاً له في مثل سنّه هذه قاد ثورة طوال إثني عشر عاماً وهو دائم الحركة متنقلاً في منطقة من أكثر مناطق الدنيا وعورةً.

في تلك الظروف دخلت نية الحكومتيْن في القيام بحركة الإلتفاف الى حيز التنفيذ بحركةٍ من الجيش العراقي داخل الحدود الإيرانية. وعندها أدرك بتجاربه القتالية والستراتيجية أنْ لا أملَ في مقاومة جيشَيْن عصريين يُحكمان حلقة حصار. هذا الوضع أملى عليه منحى جديداً قرنه بقرار يُناقض ما أجازه سابقاً. وأعلن قراره هذا للجميع:

«إنّه شخصياً لايُمانع في مواصلة النضال المسلّح، إنْ وُجد مَنْ يرى في

نفسه الجدارة لتحمُّل مسؤولية قيادة الحركة. لكنّه شخصياً لايستطيع أنْ يتحمّل مسؤولية قرار الإستمرار في المقاومة بقيادته طالما لاتسمح سنّه المتقدّمة ووضعه الصحيّ بالقيادة الفعلية كالسابق. إلاّ أنّه لن يرحل الى الخارج تاركاً الشعب الكردي يواجه الفناء أو أنْ يقوده الى الفناء تحت حكم الظروف المستجدّة. »

ولم يتقدّم أحدٌ لتحمّل المسؤولية.

وثائق الثورة والتمهيد لجولة نضالٍ جديدة

في غضون تلك الفترة العصيبة ورغم العديد من المهام والمسؤوليات التي ألقاها الوضع الجديد على عواتقنا، ظلت تلازم فكري أهمية إستخلاص وثائق الثورة وحفظها من الضياع ووقايتها من التلف. فهذا هو الشيء الوحيد الذي لايمكن التعويض عنه. وهو ليس كالسلاح أو القوى البشرية ولا الأصدقاء فكلّ هذه يمكن الحصول على بدائل لها في أيّ وقت. أمّا وثائق الثورة فهي الكنز الثمين الذي لايعادله كنز وسيمكّننا في أيّ وقتٍ مناسب من تسجيل قصة النضال الذي خاضه شعبنا فيها صعوداً وهبوطاً، خسارة وكسباً، إندحاراً وإنتصاراً وهو أنفسُ هدية يمكن تقديمها لجيلٍ مناضلٍ جديد.

هذا ما هداني الله إليه فنهضتُ بالمسؤولية على قدر طاقتي. وتمكّنتُ من إنقاذ جزءٍ مهم من الوثائق وليس كلّها. وهذه التي تمّ إنقاذها قمتُ بإرسالها الى أماكن مختلفة أمينة. إلاّ أنّ بعضها تمّ إخفاؤه في أماكن لايتوفر فيها أبسط شروط الصيانة وتعرّضت لعوامل تقلّبات الطقس والرطوبة وتلفت وثائق هامة مع الأسف إلاّ أنّ ما بقي كان كافياً لإعطاء صورة أمينة للأحداث والوقائع، وما هذا الكتاب الذي بين يديك بوثائقه المنتقاة مما تبقّى، إلاّ ثمرة تلك المجهودات.

ثُمّ أرسلنا التعليمات الى عدد من كوادر الحزب والپيشمرگه بخصوص الإستعداد لشنّ حرب عصابات. وعلى هذا الأساس بقي عدد غير قليل من الكوادر الحزبية والعسكرية في المناطق الحدودية النائية. كما لجأ بعضهم الى سورية وإختفى بعضهم في قرى كردستان تركيا. ومامضى شهر من الزمن حتى إنتظم إتصالنا بهؤلاء. وتمّ بعد

موافقة البارزاني وضع الخطط اللازمة لإستئناف النشاط وخوّلني كلّ الصلاحيات كما ذكرتُ سابقاً.

نكسة العام ١٩٧٥ كانت شديدة الوقع على الجميع. لا أستثني من ذلك أولئك الذين تعاونوا مع السلطة وحملوا السلاح ضدّ الثورة وقاتلوها، فقد كانت لهم بشكلٍ ما سنداً وملاذاً يستنجدون به كلّما ساءت علاقاتهم بمخدوميهم أو شعروا بضغوطٍ أو مواقف مهينة من جانب السلطة المركزية أو بغبنٍ أو معاملةٍ سيئة. إذ كانوا يهددون دائماً بالتمرد والإنتقال الى معسكر الثورة. هؤلاء شعروا الآن بمدى خطيئتهم وأدركوا بأنّهم سيعودون الآن عبيداً أذلّة. بل شعر بعضهم بما كان سينتظرهم من مصيرٍ أليم. وهو ما حصل فعلاً كما برهنت الأحداث، ونالوا حصّتهم من تلك الإجراءات التعسّفية وأساليب القمع العنصريّ التي طالت البيشمرگه وأعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني.

إلاّ أنّ وجه الغرابة والعجب هو الموقف الذي وقفته جماعة إبراهيم أحمد. فمن بين سائر طبقات الشعب الكردي الذي كان يعيش في شبه مأتم، لم يحاول هؤلاء كتمان إبتهاجهم ولم يُخفوا سرورهم. وكان بعضهم يعبّر عن تلك المشاعر بالتعليقات السافلة السوقية.

سمعناهم يقولون شامتين:

«ها هو ذا اليوم الذي كُنّا في إنتظاره.»